الباء العامّيّة في المضارع

عود على بدء

ان دروس اللغة العامّية يتضنّن من المطالب الخطيرة ما لم يتوهّمهُ بعض الجهلة. وذلك ما حمل كبار العلماء اللغويين في اوربّة على طرق هذا الباب. امّا المستشرقون منهم فقد اختصّوا ببحثهم لسانَنا العربيّ ونقّبوا من فرائد اللغة العامّية فاروونا من علمهم عجائب ورتّبا كشفوا القناع عن حقائق جليلة حجبتها قشرة اللسان العاميّ. وعليهِ فما كدنا نقترح على قرّائنا السؤال على اصل الباء العاميّة في المضارع حتّى اطنبوا على مشروعنا وتلقّوا اجوبة ادبائنا في المشرق (٢: ٤١٥ و ٤٧٧) بالثناء الطيّب واستزادونا من هذا القبيل. فنحن نجيب اليوم بطيب الخاطر الى ملتمسهم ونعود الى اثبات ما وردنا من ذلك وكنّا احجمنا خوفاً من ان يملّ القرّاء من هذه الابحاث

جواب سادس

لجناب الاديب توما افندي كيّال احد معلّمي مدرسة القديس لويس في صيداء

انّ باء المضارع متعلّقة بمحذوف مثلاً: باروح وباكتب وباجيْ وبالعب الخ. وعلى ظنّي ان المراد من ذلك كلهِ «مستعيناً بهِ اروح واكتب واجيْ والعب» وما شاكل ذلك. والهاء راجعة الى محذوف اي «مستعيناً بقولك او بفكري او بقدرتي» فيُحذف الفعل ثم انقطعت الهاء عند الباء اختصاراً وصار كما ترى «باكتب» الخ. وهذا كما يُقال عند من يُصدّر مقالهُ بمقدّمة يستخلص منها بعض أقوال يبني عليها مدعاهُ: «وعليهِ اقول» كذلك يُقال: «وبهِ اكتب وبهِ افعل وبهِ ألعب». امّا قول القائل: «وعليهِ اقول» اي مستنداً على هذا اقول وافعل. فكما ان «على» هنا متعلّقة بفعل محذوف كذلك باء المضارع متعلقة بفعل كما ذكرنا آنفاً. ثمّ لا يخفى ان الباء تأتي بمعنى على كما تأتي بمعنى الاستعانة. والله اعلم

جواب سابع

لحضرة الاب جبرائيل وزق مرهج احد اساتذة مدرسة عين طورا

قبل الفحص عن اصل هذه الباء يُقتضى التدقيق في احوال استعمالها عند المتكلمين بها وقد لاح لي انها لا تُستعمل ابدًا عند الاخبار عن الماضي فلا يُقال مثلاً: «لمّن كنت بالمدرسة كنت بتعلم» بل «كنت اتعلم» وقس عليهِ. بل المراد منها امّا اظهار اقدام الفاعل على الفعل لا كونهُ مباشرًا لهُ كقولنا: «انت بتعمل كذا». اي انت

تقدم على عمل كذا او تقصد عمل كذا. واما الدلالة على ان الفاعل متصف بالفعل على الاطلاق كقولنا: « انا بحبك ». اي انا متصف بحبي لك او انا محبٌ لك. وقد يُراد بها الامر كقول المخدوم لخادمه: « يتروح تقول لفلان تيجي لعندي ». اي رُحْ وقُلْ. اما اذا أُريد كون الفاعل مباشرًا في الفعل واخذًا في تتميمه فتستعمل لهُ حينئذٍ لفظة « عمّال » او عمّل (بحذف الالف) او لفظة « عمّن » بقلب اللام نونًا لقرب المخرج كقولهم في لي امل: « لي امن ». وفي المسيح الدجّال « المسيح الدجّان ». او لفظة « مَن » بحذف العين من عمّن للاختصار وكثرة الاستعمال كما حذفوا الحاء من حتى في قولهم: « راح تيعمل » اصلها: راح حتى يعمل. فيقال مثلًا « انا اعمل او عمّل او عمّن او منّعمل »: اي انا اعمل في هذا الوقت او انا آخذ في العمل الان ولا يقولون بهذا المعنى: انا بعمل. ويتضح ذلك بزيادة من قولهم « اذا صار هالامر ايش بتعمل وايش بتقول » اي ما يكون عملك وقولك ولا يستعملون ابدًا لهذا المعنى: « منتعمل ومنتقول ». وعليهِ يجب تطلب اصل الباء في كلمة تحتوي عليها ويمكن ان تُستعمل في ما تستعمل هي لهُ وتنوب منابها هي او ما يرادفها في الاخبار عن الماضي

فاذا تقرَّر ذلك قلتُ ان هذه الكلمة هي « بات » وما يشتقّ منها بمعنى اضحى وظلّ وصار الخ. وينوب عنها في الاخبار عن الماضي ظلّ (عند العامّة ضلّ او ضمّ بقلب اللام ميمًا لقرب المخرج) او صار يقولون: « لمن شفتو صرت اعمل وضلّيت قول » بعدم ادخال الباء بخلاف ما لو أُريد المستقبل فتُرَدّ الباء. ويُقال مثلًا: « بحيث الامر هيك صرت بشوف وصرت بتبصّر » الخ. اما الاستغناء عن بات بالباء فقط فاظنّ انهُ لم يتمّ دفعة واحدة بل تدريجًا وشيئًا فشيئًا على توالي الايام. فقيل اولًا في المخاطب للدلالة على اتصاف الفاعل بالفعل: « بتْ تحب » باسكان التاء لاعتيادهم ذلك. ثمّ حُذفت للخفّة وكثرة الاستعمال فصارت: « بتحب » وعلى هذا فيكون اصل « بتحبني وبتبغضني »: بتْ تحبني وبتْ تبغضني ». اما اذا أُريد الدلالة على قصد الفعل والاقدام عليهِ فيكون الاصل في « بتعمل » مثلًا: تبيت تعمل باختلاس الباء واسكان التائين لاعتيادهم ذلك. فأُسقطت اولاهما لكثرة الاستعمال والخفّة فصارت: « بيت تعمل ». ثمّ حُذفت الياء لالتقاء الساكنين وطلبًا للخفّة واستغني عن التائين المتواليتين بواحدة منهما فصارت « بتعمل » كما في الصورة الاولى

هذا في المخاطب واذا أريد بها الامر فلا اسهل من ردّها اذ يكون اصل « بتروح » مثلًا بتْ تروح (امرًا من بات) . ثمَّ استُغني بتاء واحدة للخفَّة وصارت « بتروح » . اما المتكلّم فان الاصل في « بعمل » مثلًا للدلالة على الاتصاف بالفعل : « بتْ أعمل » وتلفظ « بتْعمل » ثم خُففت التاء المشدَّدة وبعد ذلك حُذفت خشية الالتباس بالمخاطب فصارت « بعمل » . اما للدلالة على الاقدام « أبيتْ اعمل » حذفت الهمزة للخفة كما حذفت من « كَلتُ » ماضيًا اصلها أكلتُ « وصرت قول » مضارعًا اصلها « اقول » وفي « ضرُب » امرًا اصلها « اضرب » فصارت « بيت اعمل » باختلاس الياء التي حذفت اخيرًا للخفَّة وحذفت معها التاء خشية الالتباس بالمخاطب فصادت « بعمل » على كلا الحالين . وكذلك تُل في الغائب الذي استُعمل فيه الحذف للمتكلّم والمخاطب وحملًا عليهما قيل : « بات يعمل » او « يبيت يعمل » ثمَّ « بيعمل » بحذف الالف في الاول للخفة والتقاء الساكنين ثم التاء للخفَّة اذ لا يخفى ما في « بتْيعمل » من الثقل ولاسيما لما في بقائها من اللَّبس احيانًا كما في بتيتِر (من يسَّر لا تيتر) اذ لا يُعلم اذا كانت للمخاطب او للغائب بخلاف « بتيتِر وبيتِر »

ومن يعوف عادة العامة في سهولة الحذف والنحت والنقل والقلب والتقديم والتأخير في كل ما فيه شبه قرابة من الحروف للخفة والاختصار مع بقاء المعنى لا يعجب من كل ما ذكرنا من التقلُّب قالوا مثلًا : « مِتعمل » في عمَّال اعمل و « راح تيعمل » في حتى يعمل و « ابتعملش » في أما تعمل و « إمَّا » في الساعة و « ركد » في ركض و « اجر » في دجل و « جوز » في زوج الخ . ولمَّا استعملت هذه الصيغة في المفرد حمل عليها الجمع دون ملاحظة اصل الباء فأبقيت على حالها كأنها من مُكمِّلات الصيغة وقيل : بتضربوا بيضربوا . اما « منضرب » فالظاهر انها شذَّت بيد اني اظن انها لم تخرج عن القاعدة بل قُلبت الباء ميمًا لقرب المخرج وزيادة الخفَّة في الاستعمال كما لا يخفى عند التلفُّظ فقيل في بتضرب « منضرب » كما قالوا في مريم « مرين »

قد رأيت ممَّا تقدَّم انهُ يصحّ على كل الاحوال وفي الصيغ الثلاث وحالتَي المفرد والجمع تقدير فعل بات او يبيت او بتْ حسب اقتضاء المعنى . ولا شك انَّ استعمال الباء كان بادئ بدء محصورًا في ما يصحّ فيه استعمال اصلها ثمَّ شاعت عند العامَّة في كلّ ما يدلّ على قصد الفعل او اتّصاف الفاعل به او الامر احيانًا لتوهمهم فيها هذه

المعاني وجهاهم اصلها على توالي الايام كما لا يخفى فادخلوها المضارع غير مميزين الافعال وخصائصها حتى قيل مثلاً: « بريد بعمل » و « بضلّ بقول » الخ. بالتكرار ومن الواضح البيّن ان هذا التكرار مهما كان اصل الباء انما هو لاعتيادهم ادخالها المضارع كانها من مكمّلات صيغته على نوع ما غير مكترثين بما قُطعت عنهُ. بيد انهم اخلوا منها صيغة الدعاء. فقالوا: الله يوفقك الله يخليك ربّو (ليتهُ يموت) الخ بدون باء. لقلّة استعمال هذه المعاني بالنسبة الى غيرها على ما اظن. والدليل انهم اذا أرادوا الاخبار او التمني بالصيغة والافعال نفسها أعادوا الباء وقالوا مثلاً في الاخبار: اذا عملت هالحسنه الله بيوفقك (اي بات او بيبت يوفقك). وفي التمني: آه يا ربتو بيموت (ليتهُ بيبت ماتتا)

امّا استعمال لفظة « بدّ » اصلاً للباء على المضارع فواضح انهُ لا يمكن اطلاقهُ على كلّ الاحوال مثل بات فلا معنى لهُ مثلاً في قولنا: بحبّك (بتّ احبك) وبتريد تروح استفهاماً (بتّ تريد) الخ

وكذلك قُل في أبي يبي (اراد) وبزمي وما هو في معناها لحصرها المعنى في المستقبل. وقد رأيت انّ الباء تدلّ على اكثر من ذلك. امّا « بودّي » بمعنى أُريد واحب الخ. فيلوح لي انّ فيهِ نظراً اذ لو صحّ ذلك لما لزم تغيير المعنى عند استعمال بدي في موضع الباء. والحال لا يصحّ ان يُقال مثلاً في « بحبك » وما اشبه. بدي حبك. اذ لا يخفى ما في ذلك من تباين المعنى. امّا قولهم احياناً « بد اعمل » ألا يصحّ ان يُقدّر كون الدال مقلوبة فيهِ تاء بات لقرب المخرج فان ذلك كثير عندهم نحو دمدم وتمتم وقد مثّل عليهِ حضرة اللغوي المدقق الاب انسطاس الكرملي بما لم يدع معهُ سبيلاً الى الشكّ وهو شائع عند العامّة كقولهم في « وجه » وشّ. وفي « إمّا » يَا. وفي « ليتهُ » ريتو. وفي « بنضرب » منضرب الخ. او لا يمكن ايضاً ان يُقال انهما صيغة نادرة الاستعمال محصورة في معنى مخصوص هو الاقدام على الفعل كما ان « منتعمل » صيغة محصورة الاستعمال في معنى مباشرة الفعل

ولا يصلح ان يُبرهن على قطع الباء من « بودّي » بعدم جواز الجمع بينهما اذ يقال بدّك تعمل ولا بدّك بتعمل. فانّ لذلك سبباً آخر غير ما يُتبادر اليهِ وهو انهم يفهمون بلفظة « بدّي » اريد او ارغب او اقصد الخ. فهم يستعملونها مطلق استعمالهم هذه الافعال كانها فعل منها. ولقد لحظتُ من جهة أخرى أنهُ متى تتالى فعلان فلا تدخل

الباء ثانيها الّا اذا كان للمتكلّم المفرد فقط جوازًا لا وجوبًا. وكذلك اذا تقدّم الفعل اسم فاعل او كلمة بمعناهُ اذ لا يفرقون بينهما لاتفاقهما وزنًا ومعنًى فيقولون في المفرد المتكلّم فقط: رايح بعمل او رايح اعمل قصدي عمل (انا قاصد) وبعمل (نادرًا) بقدر بعمل وبقدر اعمل. وعليهِ قالوا ايضًا بدّي اعمل. واذكر اني سمعتُ بعضهم يقول: بدي بقول. بالابقاء

بقي تفسير امرَين: إجازتهم الابقاء في المفرد المتكلّم فقط عند تتالي فعلين وسبب الحذف مطلقًا بعد بدّي:

امّا على الاول فيلوح لي (مهما كان اصل الباء) انهم استعاضوا بها من همزة أنّيت للسبب الآتي: انهم لكثرة استعمالهم الباء على المضارع توهّموا كما سبق لنا القول انها من مميّزاتهِ ومكتسبات صيغتهِ. واذ كانت التاء والياء للمخاطب والغائب لا تُحذفان بخلاف الهمزة التي شاع عندهم اسقاطها لعدم استعمالهم اياها عادةً الّا همزة وصل فقد أدخلوا هذه الباء على المفرد المتكلّم للتعويض عن همزتهِ والدلالة على صيغتهِ حينما لا يخبر بهِ عن الماضي كما دلّت التاء على المخاطب والياء على الغائب. ومما يؤيد ذلك انهم لا يدخلونها صيغة المتكلّمين لدلالة النون عليها فيقولون «رايحين نعمل» لا رايحين بنعمل او منعمل بالقلب. وانهم عند ابقائهم الهمزة في المفرد يحذفون الباء نحو: بدّي أعمل. بفكري إتعلم الخ. ويظهر ذلك بزيادة اذا لاحظنا فعلًا اوّلهُ تاء مثل تعلّم: فيقال في المفرد المتكلّم: «بقدر بتعلّم» بباء عوضًا عن همزة الوصل المسقطة و «بتقدر تتعلّم» بتاء الصيغة وتاء الفعل دون باء. امّا قولهم: «قلتُ بعمل قلتَ بتعمل قال بيعمل» بادخال الباء على كل الاحوال فلا يخفى ما في تلو فعل قال من معنى الابتداء. فكان لا تكرار

امّا سبب الحذف بعد «بدّي» في كل الاحوال فليس ذلك مختصًا بها بل هي عادتهم تقريبًا بعد كل كلمة تستلزم ان المصدريّة بعدها مثل «في اوفيني اعمل (اقدر) بقصدي اعمل بيمكني اعمل تركني اعمل رايح بلّش اعمل رايح بدي اعمل (من فعل ابتدأ)» لازم اعمل ضروري ببطل اعمل علّمني اعمل سمحلي اعمل» وكذلك «بدي اعمل» (اريد)

هذا ما سمح لي الوقت بابدائهِ ولا شك ان متابعة الفحص في المسألة تزيدها ايضاحًا وتسهل طرق حلّها